تفسير إبن كثير

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

(الذين يؤمنون بالغيب)قال أبو جعفر الرازي ، عن العلاء بن المسيب بن رافع ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : الإيمان التصديق .وقال علي بن أبي طلحة وغيره ، عن ابن عباس ، (يؤمنون) يصدقون .وقال معمر عن الزهري : الإيمان العمل .وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس : (يؤمنون) يخشون .قال ابن جرير وغيره : والأولى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولا واعتقادا وعملا قال : وقد تدخل الخشية الله في معنى الإيمان ، الذي هو تصديق القول بالعمل ، والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله ، وتصديق الإقرار بالفعل . قلت : أما الإيمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض ، وقد يستعمل في القرآن ، والمراد به ذلك ، كما قال تعالى : (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) [التوبة : 61] ، وكما قال إخوة يوسف لأبيهم : (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) [يوسف : 17] ، وكذلك إذا استعمل مقرونا مع الأعمال ؛ كقوله : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) [الانشقاق : 25 ، والتين : 6] ، فأما إذا

استعمل مطلقا فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادا وقولا وعملا .هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة ، بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعا : أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص . وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث أوردنا الكلام فيها في أول شرح البخاري ، والله الحمد والمنة .ومنهم من فسره بالخشية ، لقوله تعالى : (إن الذين يخشون ربهم بالغيب) [الملك : 12] ، وقوله : (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) [ق : 33] ، والخشية خلاصة الإيمان والعلم ، كما قال تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) [فاطر : 28] .وأما الغيب المراد هاهنا فقد اختلفت عبارات السلف فيه ، وكلها صحيحة ترجع إلى أن الجميع مراد .قال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله : (يؤمنون بالغيب) قال : يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وجنته وناره ولقائه ، ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث ، فهذا غيب كله .وكذا قال قتادة بن دعامة .وقال السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة ، وأمر النار ، وما

ذكر في القرآن .وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (بالغيب) قال : بما جاء منه ، يعني : من الله تعالى .وقال سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن زر ، قال : الغيب : القرآن .وقال عطاء بن أبي رباح : من آمن بالله فقد آمن بالغيب .وقال إسماعيل بن أبي خالد : (يؤمنون بالغيب) قال : بغيب الإسلام .وقال زيد بن أسلم : (الذين يؤمنون بالغيب) قال : بالقدر . فكل هذه متقاربة في معنى واحد ؛ لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان به .وقال سعيد بن منصور : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن عبد الرحمن بن يزيد قال : كنا عند عبد الله بن مسعود جلوسا ، فذكرنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وما سبقوا به ، قال : فقال عبد الله : إن أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه ، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانا أفضل من إيمان بغيب ، ثم قرأ : (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) إلى قوله : (المفلحون) [البقرة : 1 - 5] .وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والحاكم في مستدركه ، من طرق ، عن الأعمش ، به .وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين

، ولم يخرجاه .وفي معنى هذا الحديث الذي رواه [الإمام] أحمد ، حدثنا أبو المغيرة ، أخبرنا الأوزاعي ، حدثني أسيد بن عبد الرحمن ، عن خالد بن دريك ، عن ابن محيريز ، قال : قلت لأبي جمعة : حدثنا حديثا سمعته من رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : نعم ، أحدثك حديثا جيدا : تغدينا مع رسول االله صلى االله عليه وسلم ومعنا أبو عبيدة بن الجراح ، فقال : يا رسول االله ، هل أحد خير منا ؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك . قال : نعم ، قوم من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني .طريق أخرى : قال أبو بكر بن مردويه في تفسيره : حدثنا عبد االله بن جعفر ، حدثنا إسماعيل عن عبد االله بن مسعود ، حدثنا عبد االله بن صالح ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن صالح بن جبير ، قال : قدم علينا أبو جمعة الأنصاري ، صاحب رسول االله صلى االله عليه وسلم ببيت المقدس ، ليصلي فيه ، ومعنا يومئذ رجاء بن حيوة ، فلما انصرف خرجنا نشيعه ، فلما أراد الانصراف قال : إن لكم جائزة وحقا ؛ أحدثكم بحديث سمعته من رسول االله صلى االله عليه وسلم ، قلنا : هات رحمك االله قال : كنا مع رسول االله صلى االله عليه وسلم ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة ، فقلنا : يا رسول االله ، هل من قوم أعظم أجرا منا ؟ آمنا بك واتبعناك؟ قال : ما

يمنعكم من ذلك ورسول االله بين أظهركم يأتيكم بالوحي من السماء ، بل قوم من بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه ، أولئك أعظم منكم أجرا مرتين .ثم رواه من حديث ضمرة بن ربيعة ، عن مرزوق بن نافع ، عن صالح بن جبير ، عن أبي جمعة ، بنحوه .وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوجادة التي اختلف فيها أهل الحديث ، كما قررته في أول شرح البخاري ؛ لأنه مدحهم على ذلك وذكر أنهم أعظم أجرا من هذه الحيثية لا مطلقا .وكذا الحديث الآخر الذي رواه الحسن بن عرفة العبدي : حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي ، عن المغيرة بن قيس التميمي ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : أي الخلق أعجب إليكم إيمانا ؟ . قالوا : الملائكة . قال : وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟ . قالوا : فالنبيون . قال : وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم ؟ . قالوا : فنحن . قال : وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ؟ . قال : فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : ألا إن أعجب الخلق إلي إيمانا لقوم يكونون من بعدكم يجدون صحفا فيها كتاب يؤمنون بما فيها .قال أبو حاتم الرازي : المغيرة بن قيس البصري منكر الحديث .قلت : ولكن قد روى أبو يعلى في

مسنده ، وابن مردويه في تفسيره ، والحاكم في مستدركه ، من حديث محمد بن أبي حميد ، وفيه ضعف ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر ، عن النبي صلى االله عليه وسلم ، بمثله أو نحوه . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه وقد روي نحوه عن أنس بن مالك مرفوعا ، واالله أعلم .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد االله بن محمد المسندي ، حدثنا إسحاق بن إدريس ، أخبرني إبراهيم بن جعفر بن محمود بن سلمة الأنصاري ، أخبرني جعفر بن محمود ، عن جدته تويلة بنت أسلم ، قالت : صليت الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة ، فاستقبلنا مسجد إيلياء ، فصلينا سجدتين ، ثم جاءنا من يخبرنا : أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قد استقبل البيت الحرام ، فتحول النساء مكان الرجال ، والرجال مكان النساء ، فصلينا السجدتين الباقيتين ، ونحن مستقبلون البيت الحرام .قال إبراهيم : فحدثني رجال من بني حارثة : أن رسول االله صلى االله عليه وسلم حين بلغه ذلك قال : أولئك قوم آمنوا بالغيب .هذا حديث غريب من هذا الوجه .ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون قال ابن عباس : (ويقيمون الصلاة أي : يقيمون الصلاة بفروضها .وقال الضحاك ، عن ابن عباس : إقامة الصلاة إتمام الركوع والسجود

والتلاوة والخشوع والإقبال عليها وفيها .وقال قتادة : إقامة الصلاة : المحافظة على مواقيتها ، ووضوئها ، وركوعها وسجودها .وقال مقاتل بن حيان : إقامتها : المحافظة على مواقيتها ، وإسباغ الطهور فيها ، وتمام ركوعها وسجودها ، وتلاوة القرآن فيها ، والتشهد والصلاة على النبي صلى االله عليه وسلم فهذا إقامتها .وقال علي بن أبي طلحة ، وغيره عن ابن عباس : (ومما رزقناهم ينفقون قال : زكاة أموالهم .وقال السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول االله صلى االله عليه وسلم : (ومما رزقناهم ينفقون قال : هي نفقة الرجل على أهله ، وهذا قبل أن تنزل الزكاة .وقال جويبر ، عن الضحاك : كانت النفقات قربات ، يتقربون بها إلى االله على قدر ميسرتهم وجهدهم ، حتى نزلت فرائض الصدقات : سبع آيات في سورة " براءة " ، مما يذكر فيهن الصدقات ، هن الناسخات المثبتات .وقال قتادة : (ومما رزقناهم ينفقون فأنفقوا مما أعطاكم االله ؛ هذه الأموال عواري ، وودائع عندك يا ابن آدم ، يوشك أن تفارقها .واختار ابن جرير أن الآية عامة في الزكاة والنفقات ؛ فإنه قال : وأولى التأويلات وأحقها بصفة القوم : أن يكونوا لجميع اللازم لهم في أموالهم مؤدين ، زكاة كان ذلك أو

نفقة من لزمته نفقته من أهل ، أو عيال ، وغيرهم ، ممن تجب عليهم نفقته بالقرابة والملك ، وغير ذلك ؛ لأن االله تعالى عم وصفهم ومدحهم بذلك ، وكل من الإنفاق والزكاة ممدوح به محمود عليه .قلت : كثيرا ما يقرن االله تعالى بين الصلاة والإنفاق من الأموال ؛ فإن الصلاة حق االله وعبادته ، وهي مشتملة على توحيده ، والثناء عليه ، وتمجيده ، والابتهال إليه ، ودعائه ، والتوكل عليه ، والإنفاق هو الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي إليهم ، وأولى الناس بذلك القرابات ، والأهلون ، والمماليك ، ثم الأجانب ، فكل من النفقات الواجبة ، والزكاة المفروضة داخل في قوله تعالى : (ومما رزقناهم ينفقون ؛ ولهذا ثبت في الصحيحين ، عن ابن عمر : أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا االله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت . والأحاديث في هذا كثيرة .وأصل الصلاة في كلام العرب الدعاء ، قال الأعشى :لها حارس لا يبرح الدهر بيتها وإن ذبحت صلى عليها وزمزماوقال أيضا :وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسمأنشدهما ابن جرير مستشهدا على ذلك . وقال الآخر :تقول بنتي وقد قربت مرتحلا يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعاعليك مثل

الذي صليت فاغتمضي نوما فإن لجنب المرء مضطجعايقول : عليك من الدعاء مثل الذي دعيته لي . وهذا ظاهر ، ثم استعملت الصلاة في الشرع في ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة في الأوقات المخصوصة ، بشروطها المعروفة ، وصفاتها ، وأنواعها [المشروعة] المشهورة .وقال ابن جرير : وأرى أن الصلاة المفروضة سميت صلاة ؛ لأن المصلي يتعرض لاستنجاح طلبته من ثواب االله بعمله ، مع ما يسأل ربه من حاجته .[وقيل : هي مشتقة من الصلوين إذا تحركا في الصلاة عند الركوع ، وهما عرقان يمتدان من الظهر حتى يكتنفا عجب الذنب ، ومنه سمي المصلي ؛ وهو الثاني للسابق في حلبة الخيل ، وفيه نظر ، وقيل : هي مشتقة من الصلى ، وهو الملازمة للشيء من قوله : (لا يصلاها) أي : يلزمها ويدوم فيها إلا الأشقى) [الليل : 15] وقيل : مشتقة من تصلية الخشبة في النار لتقوم ، كما أن المصلي يقوم عوجه بالصلاة : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر االله أكبر) [العنكبوت : 45] واشتقاقها من الدعاء أصح وأشهر ، واالله أعلم] .وأما الزكاة فسيأتي الكلام عليها في موضعه ، إن شاء االله .